# تحرير خرمشهر ودوره في تغيير مسار الحرب على الجمهورية الاسلامية في ايران

تقع مدينة خرمشهر في محافظة خوزستان جنوب غرب الجمهورية الاسلامية في إيران وهي تبعد حوالي ١٠ كيلومترًا شمال مدينة آبادان، يبلغ عدد سكانها اليوم نحو ٣٣٨,٩٢٢ نسمة، قبل الحرب كان عدد سكان مدينة خرمشهر يقارب ٢٢٠,٠٠٠ نسمة ونمت على نطاق واسع وكانت موطنًا لبعض أكثر الأحياء تميزًا في إيران إذ كانت تعد من المدن السياحية في الجمهورية الاسلامية في ايران، بالاضافة الى موقعها الاستراتيجي والجيواقتصادي كممر بري الى العراق والدول المجاورة.

بعد إنتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ ، وصعود نجم تجربة الحكومة الاسلامية التي طرحها الامام روح الله الموسوي الخميني (قدس)، بدأت الولايات المتحدة الاميركية عملياتها العدوانية لاحتواء الثورة التي اقلقت واشنطن، نظرا لإستقلالية الثورة عن التوازنات الدولية، بالاضافة الى استعادة الشعب الايراني لمقومات القوة الاستراتيجية والاقتصادية لدولة ذات مستقبل يهدد الامن الاستراتيجي الاميركي والصهيوني، ومن جملة الخطط ضد الجمهورية الفتية صناعة التبريرات لنظام صدام حسين انذاك وشن عدوان على اراضيها تحت عناوين القومية العربية، واستعادة اراضي عراقية، علما ان العراق قد اعترف بخوزستان كأراضي ايرانية في العام ١٩٧٥، عندما كانت ترزح ايران تحت السيطرة الاميريكية بواسطة حكم الشاه محمد رضا بهلوي، مع الاشارة الى ان من وقّع الاتفاق في آذار من ذلك العام، مع شاه إيران هو صدّام حسين الذي كان نائباً للرئيس حتى تموز ١٩٧٩. وكان الاتفاق يقسم نهر شط العرب بين الجانبين، في إشارة إلى الممر المائي الذي لم يكن يحق

لإيران استخدامه سوى بشكل محدود، ولكن الانقلاب في الواقع السياسي في ايران ادى الى بحث اميركا كما ذكرنا سابقا عن سبل لاضعاف الجمهورية الاسلامية وصناعة الاسباب للحرب عليها.

في ١٧ ايلول من العام ١٩٨٠ ، أعلن صدام حسين عن الغاء اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥، وبذلك كانت الاشارة الاولى للحرب على الجمهورية الاسلامية والتي كانت تعاني من استنزاف المجموعات الارهابية في الداخل وذلك لتقويض التجربة الاسلامية الفريدة في العصر الحديث، والذي قدم من اجلها الشعب المسلم في ايران الكثير من التضحيات والدماء قرابة العشرين عام.

بداية العدوان قامت العناصر الارهابية التابعة للنظام الصدامي بعدة تفجيرات وإرهاب بين اهالي المدينة، وشهدت هذه الفترة أيضًا انتهاكات متكررة للحدود الايرانية من قبل جيش صدام حسين بعدة هجمات مدفعية وصاروخية على المناطق الاهلة بالسكان لاثارة الرعب وتهجير اهل المدينة، كمقدمة لشن العدوان.

سارعت السعودية والكويت إلى دعم بغداد، وقدّمت دول عربية، بالأخص الخليجية، أموالاً طائلة دعماً للعراق الذي أمِسى رئيسه يقدّم نفسه على أنّه الحامي في وجه ثورة الامام الخميني (قدس) الإسلامية في إيران ودعم النظام في العراق بالأسلحة والذخائر من الدول الغربية وخاصة كل من الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا التي كانت أزعجتها الإطاحة بالشاه ونظامه.

دفاعا عن خرمشهر أعد امجاهدي المدينة ثلاثة من السدود على أطراف المدينة، احتوى السد الأول على جنود نظاميين ، بينما احتوى السد الثاني على دبابات ومدفعية وأسلحة مضادة للدبابات، بالاضافة الى تمركز قوات الحرس الثوري في وسط المدينة والذي كان مقره في "المسجد الجامع" تحت قيادة محمد جهان آرا ، لم يكن لدى معظم الحرس الثوري والقوات المتطوعة أكثر من خمسة عشر يومًا من التدريب، لكنهم واجهوا هجوما عنيفا قوامه اكثر من حمسئة دبابة والاف الجنود ومع ذلك لم تسقط خرمشهر طوال خمسون يوم، حيث قدم الشعب الايراني انموذجا ملفتا للمقاومة والاستبسال في الدفاع عن المدينة.

دام الاحتلال الصدامي لخرمشهر سنة ونصف تقريبا، استطاع الجيش الايراني والحرس الثوري تحريرها، بعد ان عمد صدام حسين الى تدميرها بشكل شبه كلي، وقتل وتهجير العدد الاغلب من اهلها، سبب الخسائر الكبيرة من الناحية الاستراتيجية في صفوف القوات المحتلة، لم تتمكن قوات صدام حسين من شن أي هجمات أخرى ضد الجمهورية الاسلامية في إيران، وظلت المدينة في أيدي العراقيين حتى نيسان من العام ١٩٨٢ ، عندما شنت قوات الجمهورية الاسلامية عملية بيت المقدس لاستعادة كل محافظة خوزستان.

كان لتحرير خرمشهر اثرا مهما واستراتيجيا في سير الحرب، وقد شكل تحريرها نقطة تحول للمشهد العسكري الشامل، اذ انتقلت القوات الايرانية من الدفاع الى الهجوم وتم تحرير غرب مدينة خرمشهر وصولا الى الحدود الغربية مع العراق، بالاضافة الى انتقال عمليات الجيش الايراني في المناطق الجنوبية الغربية وخصوصا منطقة عابدان حتى حدود جزيرة الفاو العراقية، في تموزمن العام نفسه ، وبعد غارات على البصرة، كبرى مدن جنوب العراق، بدأت القوات الإيرانية هجوم "رمضان" عند الجبهة الجنوبية، وفي آب ابضا في هذا العام ، بدأ النظام في العراق نوعا اخر من المعارك وهو تهديد مصالح الجمهورية الاسلامية بالاشارة الى فرضه حصاراً على جزيرة خرج (شمال-غرب الخليج الفارسي) حيث تتواجد فيها عدد من المنشآت لتصدير النفط الإيراني.

كما ادى تحرير خرمشهر الى اتجاه القوات الايرانية لتحرير مدينة كرمنشاه مما شكلت هذه المعارك ضربة قاسية لقوات صدام حيث سحب كل قواته إلى ما وراء الحدود الدولية بعد هزيمة خرمشهر وعرض وقف إطلاق النار، محاولا بذلك ان يعطي لنفسه فرصة التقاط الانفاس والاتجاه الى الداخل العراقي للقبض على الساحة الشعبية العراقية المعارضة للحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية في ايران، لكن الامام الخميني (قدس) لم يسمح للنظام الصدامي ان يمتلك فرصة الانقضاض على الشعب العراقي ورفض طلب النظام العراقي بوقف اطلاق النار، وبدأت التحولات في سير المعارك تسير الى نهايات اقلقت صانع القرار الاميركي من انتصارات مجاهدي الجمهورية الاسلامية بتقدمها في منطقة الفاو والتي تعتبر تعطل المنفذ البحري الوحيد للعراق، بالاضافة الى الحقول النفطية الاستراتيجية في العراق، كما وصلت القوات الايرانية الى واقع تهدد به ميناء ام قصر الاستراتيجي في عمق الجنوب العراقي، كما ادت الى وصول الجمهورية الاسلامية في ايران الى حالة الخصم القوي فارضة بذلك وافع جديد لسير المعارك ونتائجها، وفي ظل هذا التقدم للجيش الايراني باتت القوات

**"فيما يرتبط بصناع القرار في والولايات المتحدة الاميركية، شكلت معركة خرمشهر صفعة قوية لإستراتيجيتها في احتواء نهضت الشعب الايراني واتصاله ببعده الاقليمي المجاور وفق مفاهيم تصدير الثورة وتجربة الاسلام الثوري كتجربة سليمة وناجحة."**

العراقية غير قادرة على تهديد العمق الايراني مما دفع النظام الضدامي لإتباع اسلوب القصف الصاروخي البعيد اكثر من اعتماده على قوة الوية المشاة والمدرعات اذ بات الجيش العراقي غير قادر على شن الهجمات الفعالة على الحدود البرية للجمهورية الاسلامية في ايران، هذا بالاضافة الى دخول عامل الدعم من الجمهورية الاسلامية في ايران للشعب العراقي وخاصة في اقليم كردستان التي شهدت عمليات ظفر لطرد قوات صدام وابعاده عن الحدود الايرانية بالاضافة الى تشكيل وجود عسكري معاكس للواقع في بداية الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية في ايران، مما ادى الى قيام النظام الصدامي وبإيعاز من النظام في الولايات المتحدة الاميريكية بإستعمال الاسلحة الكيميائية المحرمة دوليا ضد الجيش والحرس الثوري الايرانيين ومن ثم استعماله ضد الشعب العراقي في كردستان.

هذا على الصعيد العسكري، اما على الصعيد السياسي، ادى تحرير مدينة خرمشهر الى قناعة لدى صدام حسين انه لم يعد بإمكانه الضغط على الجمهورية الاسلامية ولم يعد يشكل جيشه تهديدا استراتيجيا فعالا للقوات المسلحة الايرانية، اما فيما يرتبط بصناع القرار في والولايات المتحدة الاميركية، شكلت معركة خرمشهر صفعة قوية لإستراتيجيتها في احتواء نهضت الشعب الايراني واتصاله ببعده الاقليمي المجاور وفق مفاهيم تصدير الثورة وتجربة الاسلام الثوري كتجربة سليمة وناجحة.

ولهذا الامر شهدت سنوات الحرب الأخيرة تحولاً شبه تام وفاضح للولايات المتحدة الاميركية إلى حليف عسكري كامل لصدام حسين، فشنّت الطائرات الأميركية غارات على ناقلات النفط الإيرانية في الخليج، وقصفت البحرية الأميركية المنشآت النفطية الإيرانية، وأبدى حلفاء صدام حسين لا مبالاة صادمة حين استخدم أسلحة الدمار الشامل على شكل غاز سام ضد الإيرانيين، اذ كانت هذه السياسة المتبعة من قبل واشنطن تدل على عمق ازمة نظام صدام حسين فى تحول سير المعارك.

في الختام يمكن القول ان تحرير خرمشهر كانت تجربة استراتيجية مهمة في تجانس العمل العسكري والسياسي للدولة الفتية وقتذاك والتي كانت تعاني من معاداة كل دول الاستكبار في الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الاميركية، بالاضافة الى المؤامرات التي كانت تحيكها واشنطن في الداخل الايراني، اذ يمكن القول ان معركة مدينة خرمشهر كانت مفصلا ومنعطفيا تاريخيا في معيار انتقال الدفاع المقاوم الى المقاوم المهاجم فبعدما كانت قوات صدام حسين تتوغل لمسافة ١٢٠كيلومتر اتت هذه المعركة لتحول المعتدى عليه مهددا قويا للعمق العراقي وانهاء حلم صدام حسين بالظهور كشخصية قادرة على تلبية حاجة الاستكبار

**يمكن القول ان معركة مدينة خرمشهر كانت مفصلا ومنعطفيا تاريخيا في معيار انتقال الدفاع المقاوم الى المقاوم المهاجم فبعدما كانت قوات صدام حسين تتوغل لمسافة ١٢٠كيلومتر اتت هذه المعركة لتحول المعتدى عليه مهددا قويا للعمق العراقي وانهاء حلم صدام حسين بالظهور كشخصية قادرة على تلبية حاجة الاستكبار**